الدرس السابع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين، وأشهد إن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى وغفر له وللشارح وَللسامعين:

المسألة السادسة والثلاثون : التعبد بتحريم الحلال كما تعبَّدوا بالشرك .

****

قال رحمه الله تعالى «**المسألة السادسة والثلاثون**» أي من مسائل الجاهلية «**التعبد بتحريم الحلال**»؛ التعبد: أي التدين والتقرب إلى الله تبارك وتعالى «بتحريم الحلال» أي بتحريم ما أحل الله سبحانه وتعالى لهم من الطيبات، يحرمون على أنفسهم ما أحل الله عز وجل ، أو يحرم عليهم أحبارهم ورهبانهم ما أحل الله عز وجل فيحرمونه، يحرمون على أنفسهم ما حرمته نفوسهم عليهم وما حرمه أيضاً عليهم الرهبان الذين اتخذوهم أرباباً من دون الله عز وجل.

ومثَّل رحمه الله تعالى على ذلك بأخطر ما يكون وهو الشرك بالله عز وجل، قال : «**كما تعبدوا بالشرك**» أي بالله عز وجل، والشرك محرم لكنهم أجازوه لأنفسهم وتدينوا به وَتقربوا إلى الله تبارك وتعالى به وقالوا ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾[الزمر:٣] ؛ فأصبحت عقيدتهم تحليل الحرام وتحريم الحلال، مناقضةً لشرع الله سبحانه وتعالى ودينه الذي أمر به عباده جل وعلا عباده هدايةً له وفلاحاً وسعادةً في الدنيا والآخرة.

قال رحمه الله تعالى:

السابعة والثلاثون : التعبد باتخاذ الأحبار والرهبان أربابًا من دون الله .

****

«**التعبد باتخاذ الأحبار والرهبان**»؛ الأحبار: علمائهم، والرهبان: عُبَّادهم، فتدين هؤلاء الجاهليون «**باتخاذ الأحبار والرهبان أرباباً من دون الله**» أي أن ما يُحِلُّهُ الرهبان لهم يحلونه وإن كان حرمه الله ، وما يحرمه عليهم الرهبان يحرمونه ولو كان أحله الله، يحلون ما أحل لهم الرهبان ويحرمون ما حرموا عليهم؛ فهذا من اتخاذ الأحبار والرهبان أربابا من دون الله، كما في الآية الكريمة ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾[التوبة:٣١] ، ولما سمع عَدي رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه الآية قال: «يا رسول الله لسنا نعبدهم!» ، قال عليه

الصلاة والسلام : ((أليسوا يحلون الحرام فتحلونه، ويحرمون الحلال فتحرمونه؟)) ،قال بلى، قال: ((فتلك عبادتهم)) . فعبادة الأحبار والرهبان تكون بطاعتهم بتحريم ما أحل الله وبتحليل ما حرم ، فهذه الطاعة بحد ذاتها عبادة، فالشرك الذي وقعوا فيه هنا شرك الطاعة وتسوية الأحبار والرهبان بالله تبارك وتعالى، لأن الحكم لله والخلق عبيدٌ لله تبارك وتعالى ليس لهم تشريع أو أمر أو حكم ، ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ﴾ [الشورى:٢١] .

قال رحمه الله:

الثامنة والثلاثون : الإلحاد في الصفات، كقوله تعالى ﴿وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [فصلت:٢٢]

****

وهذه كذلك من جاهلية هؤلاء «**الإلحاد في الصفات**» ، والإلحاد في صفات الله تبارك وتعالى: هو الميل والعدول بها عن الحق الثابت لها ، لأن الإلحاد مأخوذ من اللحد وهو الميل ؛ الحَدَ السهم عن الرمية: أي مال ، فاللحد: هو الميل، والإلحاد في الصفات : هو الميل بها عن الحق الثابت لها . وحق صفات الله تبارك وتعالى أن يؤمَن بها كما جاءت، وأن تُثبت كما وردت، وألا تُعطل بأن تُنفى أو تُحرَّف بأن تغيَّر ألفاظها أو معانيها وَمدلولاتها ، أو أن تُمثل صفاته تبارك وتعالى بصفات المخلوقين -تنزه الله تبارك تعالى عن ذلك- ، أو أن تُكيف بأن يحاول بعقله القاصر وفكره الضعيف أن يعرف كيفيتها ؛ فكل ذلكم من الميل والعدول بها عن الحق الثابت لها فهو إلحاد في صفات الله تبارك وتعالى.

ولهذا الإلحاد ليس نوعاً واحدًا ولا مسلكاً واحدا وإنما هو أنواع ومسالك ، يجمعها وصف الإلحاد وتتفرق طرائق الملحدين في صفات الله تبارك وتعالى. فأهل الجاهلية كان من أنواع جاهليتهم إلحادهُم في صفات الله تبارك وتعالى، وذلك بالإنكار لها أو لشيء منها ، كما مَثَّلَ لذلك المصنف رحمه الله تبارك وتعالى بقوله ﴿وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ ؛ هذا إلحاد في صفات الله تبارك وتعالى.

وقد ذُكِرَ في سبب نزولها : أن رجلين أو ثلاثة اجتمعا عند بيت الله تبارك وتعالى وأخذوا يتحدثون ، ثم تساءلوا بينهم قالوا : أيسمع الله تبارك وتعالى كلامُنا؟ فقال أحدهم : "إن رفعنا صوتنا به سمع وإن خافتنا لم يسمع" ، وهكذا أخذوا يتكلمون في سمع الله تبارك وتعالى وعلمه ؛ فأنزل الله جل وعلا ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ (٢٢) وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي

ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ فذكر تبارك وتعالى هذا الإلحاد الذي وقعوا فيه بظنهم ؛ أي اعتقادهم أن الله سبحانه وتعالى لا يعلم كثيراً مما يعملون.

ولتلاحظ هنا أن هؤلاء الذين وصف الله تبارك وتعالى حالهم لم ينفوا صفة العلم لله تبارك وتعالى من أصلها ولم يجحدوها من أساسها، وإنما نفوا علمه بكثير من أعمالهم ؛ فذكر الله تبارك وتعالى أن هذا أوقعهم في الردى والهلاك ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ؛ فهذا الظن الفاسد والاعتقاد الباطل في صفات الله تبارك وتعالى أوقع هؤلاء في الردى والخسران ودخول النيران وحلول عقوبة الله تبارك وتعالى عليهم بجحدهم لعلم الله تبارك وتعالى بكل شيء ؛ حيث ظنوا إن الله لا يعلم كثيراً مما يعملون ، وهذا من الإلحاد في صفات الله تبارك وتعالى الذي يوقع صاحبه في الردى.

وهنا ننتبه إلى أن باب الصفات وإثباتها لله تبارك وتعالى يقوم على أصلين : إثباتٌ بلا تمثيل ، وتنزيهٌ بلا تعطيل ، على حد قول الله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١] ، ففي قوله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ تنزيه، وفي قوله ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ إثبات ، فتوحيد الأسماء والصفات قائم على هذين الأصلين: التنزيه لله تبارك وتعالى عن كل ما لا يليق به، وإثبات الكمال لله سبحانه وتعالى مما ثبت به كتابه وثبتت به سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ؛ فمن نفى ما أثبته الله سبحانه وتعالى لنفسه أو ما أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من الصفات فهو ملحد ، ومن أثبت ما نفاه الله سبحانه وتعالى عن نفسه وما نفاه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم فهو ملحد.

ولهذا ؛ الإلحاد يقع بإثبات ما نفى الله وبنفي ما أثبت ، والمثال الذي ساقه المصنف رحمه الله تعالى في قوله جل وعلا ﴿وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ هذا إلحادٌ بنفي ما أثبت الله ، الله جلّ وعلا أثبت لنفسه العلم الواسع المحيط، العلم بما كان، والعلم بما سيكون ، والعلم بما لم يكن لو كان كيف يكون ، وأنه تبارك وتعالى أحاط بكلِّ شيء علما ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر:١٩] ، ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سبأ:٣] ، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك:١٤] ، ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد:٤] أي بعلمه واطلاعه سبحانه وتعالى . فأثبت جلّ وعلا لنفسه العلم الواسع ، العلم المحيط، العلم بكل شيء ، فمن نفى هذا الذي أثبته الله سبحانه وتعالى لنفسه فهو ملحد، كما صنع هؤلاء بقولهم أو بظنهم إن الله لا يعلم كثيراً مما يعملون .

ويقع كذلك الإلحاد بإثبات ما نفى الله؛ بأن يثبت لله تبارك وتعالى ما نفاه الله عن نفسه ، ومثال هذا النوع في

قوله تبارك وتعالى ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴾ [مريم:٨٨-٩١] ؛ فقولهم ﴿ اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴾ هذا إلحادٌ بإثبات ما نفى الله، والمثال السابق إلحاد بنفي ما أثبت الله .

فمن أثبت ما نفى الله فهو ملحد، ومن نفى ما أثبته الله تبارك وتعالى فهو ملحد ، وكل من الإلحادين –سواءً بإثبات ما نفى الله، أو بنفي ما أثبت– يوقع صاحبه في أشد الهلكة وأعظم الخسران ، ولهذا في النوع الأول قال: ﴿ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾، وفي الثاني قال ﴿ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴾ ؛ فهذا أمر أخطر ما يكون وأشنع ما يكون ويترتب عليه من الأضرار والنكال والعقوبات ما لا حد له ولا عد . فالإلحاد في صفات الله تبارك وتعالى جاهلية جهلاء وضلالة عمياء ، وحمى الله سبحانه وتعالى أمة الإسلام منها ببعثة محمد عليه الصلاة والسلام حيث بيَّن عليه الصلاة والسلام للأمة واجبها نحو أسماء الله تبارك وتعالى وصفاته، وأنها تُثبت لله ويؤمن بها وتُقر ، ويعظم الرب جلّ وعلاء ويُقدر جلّ وعلا حق قدره، ويُبتعد عن مسالك الضالين وطرائِقِ أهل الجاهلية .

قال رحمه الله تعالى :

التاسعة والثلاثون :الإلحاد في الأسماء كقوله ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ ﴾ [الرعد: ٣٠] .

****

«**الإلحاد في الأسماء**» أي اسماء الله تبارك وتعالى الحسنى ، قال الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٠] وفي هذا تهديد ووعيد من الله تبارك تعالى من للملحدين في أسمائه ، توعدهم الله تبارك وتعالى وتهددهم على إلحادهم في أسمائه سبحانه أولًا : بقوله جل وعلا ﴿ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ﴾ أي تجنبوا طريقتهم واحذروا مسلكهم ، والأمر الثاني: بما ختمت به الآية وهو قوله تعالى: ﴿ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ أي سيعاقبون ، ولم يذكر نوع العقوبة التي يحلُّها بهم لفظاعتها وشدتها وعظم النكال الذي أعده الله سبحانه وتعالى للملحدين في أسمائه .

قال: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ أي آمنوا بها وأثبتوها له جلّ وعلا وَتقربوا الى الله سبحانه وتعالى بالإيمان بها والتوسُل إليه تبارك وتعالى بالإيمان بها ومناجاتِهِ بذلك ، مقرين له جل وعلا بأسمائه الحسنى الثابتة في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ؛ وهذا الإيمان بأسماء الله والإقرار يؤدي بالمؤمن إلى الجنة والفوز بثواب الله ،

كما صح بذلك الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال : ((إن لله تسع وتسعين اسماً مائة إلا واحد من أحصاها دخل الجنة)) ؛ من أحصاها : أي حفظها، وفهم معانيها ، وعمل بما تقتضيه من الإخلاص وحسن الرجاء وصدق مع الله وتمام التوكل على الله وتتميم العبادة وتحقيق العبودية لله تبارك وتعالى . فالإيمان بأسماء الله تبارك وتعالى الحسنى يفضي بالعبد إلى كل خير ورفعة في الدنيا والآخرة ، أما الإلحاد في أسمائه سواءً بنفيها أو بأن يثبَت لله تبارك وتعالى من الأسماء ما لا يليق به جل وعلا ، أو بأن تحرَّف معانيها وَمدلولاتها ، أو بأن يقاس تبارك وتعالى بخلقه ويمثل بهم، أو غير ذلك فهذا كله إلحاد في أسماء الله، وخروج بها عن الحق الثابت لها، وهو من صنائع ومسالك أهل الجاهلية التي جاء الإسلام بإبطالها .

ومَثَّل الشيخ رحمه الله تعالى على هذا النوع بقوله تبارك وتعالى: ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ ﴾[الرعد:٣٠] ؛ وذلك أن المشركين لما أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يصالحهم في صلح الحديبية اتفقوا على أن يكتبوا كتاباً فيه ما تم بينهم من صلح، وجاء النبي صلى الله عليه وسلم بكاتبه فقال ((اكتب «بسم الله الرحمن الرحيم»)) قال سهيل بن عمرو: ما ندري الرحمن ما هو؟ ما نعرف إلا رحمن اليمامة، فرفضوا أن يُكتب اسم الله تبارك وتعالى «الرحمن» في ورقة الصلح وقالوا الرحمن ما ندري ما هو ، فجحدوا هذا الاسم . وكما نبه العلماء الجحد هنا ليس مبنيًا على عدم معرفة القوم بأن الله تبارك وتعالى رحمن ، وإنما هو نوع معاندة ومكابرة وتكبر على الحق وعلى ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإلا هم على معرفة بذلك، ويأتي ذكر هذا الاسم في أشعارهم كثيراً ، فـ«الرحمن» جحدوه هنا عناداً وتكبراً ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ﴾[النمل:١٤] وإلا الاسم معروف ، ولهذا قال بن جرير الطبري رحمه الله تعالى في كتابه التفسير : «وقد زعم بعض أهل الغباء أن العرب لا تعرف اسم الله الرحمن» ، ثم بيَّن ما يُكذب هذه الدعوى؛ الاسم معروف عندهم ولكنهم جحدوا على وجه المعاندة، فسمى الله تبارك وتعالى جحدهم لهذا الاسم على وجه المعاندة وَالمكابرة كفراً ؛ قال: ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ ﴾ . وإذا كان جحد اسم واحد لله تبارك وتعالى سواء للمعاندة وَالمكابرة أو لأي سبب آخر سماه الله تبارك وتعالى كفرًا ؛ فكيف بمن يجحد أكثر أسماء الله جلّ وعلاء وأكثر صفاته ويعاند في ذلك ويكابر ويقدِّم هواه ومنطقه ورأيه وفكره على كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم !! قال ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ ﴾؛ فسمى تبارك وتعالى هذا الجحود كفرًا بالله تبارك وتعالى.

قال رحمه الله تعالى :

الأربعون : التعطيل كقول ال فرعون .

****

قال : «**الأربعون: التعطيل**»؛ والتعطيل : هو النفي والجحد لما أثبت الله سبحانه وتعالى ، مدلول هذه الكلمة لغةً التعطيل : هو النفي ، قول الله عز وجل ﴿وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ﴾[الحج:٤٥] أي خالية متروكة، فالتعطيل هو النفي يقال "جيد معطلة من الحلي" أي خالية ، تعطيل الأسماء والصفات: نفيها وعدم إثباتها لله تبارك تعالى .

وهذا التعطيل كما نبه المصنف رحمه الله تعالى هو دين فرعون، دين فرعون هو التعطيل والجحد ، ولهذا كل معطل لأسماء الله تبارك وتعالى نسبته اللائقة به أنه هو فرعوني ، على طريقة فرعون في التعطيل والجح د، أما الذي يثبت الصفات لله تبارك وتعالى فإنه على نهج الأنبياء وطريقتهم ، ولنضرب على ذلك مثالاً :

الله جلّ وعلا أثبت لنفسه في كتابه وأثبت له رسوله صلى الله عليه وسلم في سنته علوه جلّ وعلا على خلقه وأنه العلي العظيم الكبير المتعال الأعلى جلّ وعلا ، أثبت لنفسه ذلك وقامت البراهين الكثيرة على إثبات العلو له جلّ وعلا ، وهي براهين لاتعد بالمئات بل بالآلاف ، الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والحجج البينات على علو الله تبارك وتعالى لا حصر لها ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾[فاطر:١٠] ، ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾[المعارج:٤] ، ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[السجدة:٢] ، ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾[الملك:١٦] ، ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾[الأعراف:٥٤] ، آيات كثيرة ناطقة وشاهده بعلو الله تبارك وتعالى على خلقة ؛ فمن أثبت العلو لله فدينه دين الأنبياء ، ومن نفى علو الله تبارك وتعالى دينه دين من؟! موسى عليه السلام كان مما أبلغ فرعون به ودعاه إلى الإيمان به الإيمان بالله تبارك وتعالى المستوي على العرش العلي على الخلق علوًا يليق بجلاله وكماله ، فجحد فرعون ذلك وقال: ﴿يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ (٣٦) أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾[غافر:٣٦-٣٧] ؛ وهذا السياق فيه أن موسى عليه السلام أخبر فرعون أن الله في السماء ، ولهذا أراد بزعمه أن يبني صرحًا أي بناءً عالياً شاهقا مرتفعا ليصعد عليه وليطلع هل يوجد إله في العلو كما أخبر موسى أو لا يوجد؟ قال: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾ فجحد علو الله سبحانه وتعالى وجحد وجوده ، بل قال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾[القصص:٣٨]، وقال ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[الشعراء:٢٣] . وهذ الجحد من فرعون ليس مبيناً عن عدم علم منه بوجود الله وأنه خالق هذه المخلوقات ، هو يعلم ولكنه يقول ذلك مكابرة وعناداً ، واقرأ دليل ذلك في قوله تعالى ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾[النمل:١٤] ، وفي قوله تعالى فيما ذكره جل وعلا عن موسى عليه السلام فيما قاله لفرعون قال: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ﴾[الإسراء:١٠٢] ؛ ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ أي يا فرعون ﴿مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ﴾ أي أنت في قرارة نفسك تعلم ولكن هذا الجحد كان من فرعون على وجه المعاندة وَالمكابرة.

فالذي يعطل الصفات فيه شبه من فرعون ، والذي يثبت الصفات هو على سَنَن الأنبياء .
والتعطيل كما قال أهل العلم تعطيلٌ كُلي ،وتعطيلٌ جُزئي ؛ الكُلي: بنفي الصفات والأسماء عموماً، والجُزئي: بتعطيل بعضها ، وذلك بإثبات بعضٍاً وجحد بعضٍاً ، ولهذا قال العلماء : باب الصفات واحد ؛ القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر .

قال رحمه الله تعالى :

الحادية والأربعون: نسبة النقائص إليه سبحانه.

****

قال رحمه الله : «**الحادية والأربعون: نسبة النقائص إليه سبحانه، كالولد والحاجة والتعب مع تنزيه رهبانهم عن بعض ذلك**» ؛ وهذا أيضاً داخل فيما سبق ألا وهو: الإلحاد في أسماء الله تبارك وتعالى وصفاته ، فمن جاهلية أولئك الجهلاء وضلالتهم العمياء نسبتهم النقائص إليه ، والله سبحانه وتعالى منزه عن النقائص والعيوب جل وعلا.
«نسبتهم النقائص إليه» أي نسبتهم إلى الله تبارك وتعالى ما لا يليق به من النقائص والعيوب ، ومثَّل لذلك ببعض الأمثلة قال : «**كالولد**» أي كنسبة الولد إلى الله سبحانه وتعالى ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ [مريم:٨٨] ، قالوا ﴿عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة:٣٠] ، قالوا: الملائكة بنات الله ؛ فهذا من الإلحاد ، من الإلحاد في أسماء الله تبارك وتعالى وصفاته: نسبة النقص إليه؛ كالولد .
«**وكالحاجة**» أي حاجته تبارك وتعالى إلى خلقه .
«**وكالتعب**» ؛ ولهذا قال عز وجل في سورة ق: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق:٣٨] أي وما مسنا من تعب ، لأن اليهود يدَّعون أنه تبارك وتعالى وتنزه وتقدس أنه لما خلق السموات والأرض تعب ، هكذا يزعم اليهود أخزاهم الله ، فنزه الله تبارك وتعالى نفسه عن ذلك قال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ .
ومن ذلك أيضاً: قول اليهود أخزاهم الله ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ ، قال تعالى: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة:٦٤] .
قال : «**مع تنزيه رهبانهم عن بعض ذلك**» أي عن بعض هذا الذي أثبتوه لله من النقائص ، ينزهون رهبانهم عن بعض ذلك ، رهبانهم عرفنا المراد به :أي عُبَّادهُم ، الرهبان: العُبَّاد المنقطعين للعبادة ، ومن انقطاع بعض الرهبان

عن العبادة ترك النكاح والنسل ، وهذا مما يتعبدون لله تبارك وتعالى به أو بعض رهبانهم يتعبد لله به ترك النكاح والنسل، فتقربون لله تعالى بذلك . فالراهب الذي يبلغ الدرجة العالية في الرهبانية عندهم هو الذي ينقطع ولا ينكح ولا يكون له نسل ، وعندهم أن الراهب فعلاً هو من لا زوجة له ولا أولاد هذا هو المترهب . إذاً الراهب ينزهونه عن الزوجة والولد وأنها لا تليق به ، ثم هذا الذي ينزهون الراهب عنه ويرونه لا يليق به وأن مقامه أعلى يثبتونه لله تعالى الله وتقدس عن ذلك ؛ فيقولون أن الله اتخذ صاحبة واتخذ ولداً ، فيثبتون لله تبارك وتعالى ما ينزهون بعض رهبانهم عنه .

ولهذا يذكرون في القصص، ذكرها بعض أهل العلم، أن أحد المسلمين لقي جماعة من النصارى ومعهم راهب ، معهم رجل منهم مترهب ومنقطع عن الزواج وعن الذرية ، فأراد أن يحرجهم في هذا الباب فلما تبادلوا التحية قال للراهب كيف الزوجة والأولاد ؟ يسأله كيف زوجتك وأولادك ؟ فغضب من حوله قالوا: كيف تسأله عن الزوجة والأولاد وهو راهب؟! يعني هذا لا يليق به . ثم قال لهم : كيف تنزهون الراهب عن الزوجة والأولاد وأنتم تقولون اتخذ الله صاحبة وولدا؟! فتثبتون لله تبارك وتعالى ما تنزهون رهبانكم عنه وما ترونه غير لائق برهبانكم، ترونه لا يليق بالرهبان وتثبتونه للعظيم الكريم الرحمن سبحانه وتعالى!! فهذا من جاهلية هؤلاء الجهلاء وضلالتهم العمياء أنهم يثبتون لله تبارك وتعالى النقائص مما ينزهون بعض رهبانهم عنه .

قال رحمه الله تعالى :

الثانية والأربعون : الشرك في الملك كقول المجوس.

****

«**الشرك في الملك**» هذا من أيضاً الجاهلية التي وجدت في هؤلاء الشرك في الملك؛ أي: بإثبات مالك وخالق مع الله تبارك وتعالى «**كشرك المجوس**» والمجوس: هم الذين يدَّعون وجود خالقين، خالق للخير وخالق للشر، خالق للنور وخالق للظلمة، فالمجوسية هي إثبات خالق مع الله تبارك وتعالى ومالك مع الله جل وعلا . ولهذا من أثبت لغير الله تبارك وتعالى حظًا من الملك الاستقلالي أو التسخير والتدبير والتصرف في هذا الكون ففيه مجوسية وهو في ذلك على ذلك على نهج المجوس وعلى طريقة المجوس الذين يُثبتون خالقاً مع الله تبارك وتعالى . ولهذا قال العلماء رحمهم الله عن القدرية نُفاة القدر –قدر الله عز وجل– قالوا هم مجوس هذه الأمة ؛ لأن الذي يقول "إن العبد هو الخالق لفعل نفسه" أثبت خالقاً مع الله، فكان فيه شبه من المجوس، ولهذا قال أهل العلم : القدرية مجوس الأمة ، وجاء في حديث يُرفع للنبي صلى الله عليه وسلم ويحسنه بعض أهل العلم . كذلك يدخل في هذا الدهرية الذين يقولون ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية:٢٤] وسيأتي الكلام عليهم عند ذكر المصنف لهم .

قال رحمه الله تعالى:

الثالث والأربعون: جحود القدر.

****

قال رحمه الله: «**الثالثة والأربعون: جحود القدر**» أي إنكاره . والقدر قدرة الله عز وجل ، والإيمان به ركن من أركان الإيمان وأصل من أصوله العظام ، ولا إيمان لمن لم يؤمن بالقدر، ولهذا لما سأل جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان قال: أخبرني عن الإيمان؟ قال: ((أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وأن تؤمن بالقدر خيره وشره)) ؛ فذكر عليه الصلاة والسلام الإيمان بالقدر في جملة أصول الإيمان ، قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩] ،وقال جل وعلا ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى﴾ [طه:٤٠]،وقال جل وعلا ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ [الأحزاب:٣٨] ، وقال جل وعلا ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:٢٠] وقال جل وعلاء ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ [المرسلات:٢٣]، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير:٢٩] والآيات في هذا المعنى كثيرة .

فالقدر أصل من أصول الإيمان وركن من أركان الدين ، ولا إيمان لأحد إلا بالإيمان بالقدر، بل القدر كما وصفه بذلك بن عباس رضي الله عنهما نظام التوحيد؛ أي لا ينتظم لأحد توحيده وإيمانه إلا بالإيمان بالقدر ، فإذا جحد القدر انتقض الإيمان والتوحيد، قال بن عباس رضي الله عنهما «القدر نظام التوحيد، فمن آمن بالله وكذَّب بالقدر نقض تكذيبه توحيده»، نقض تكذيبه -أي بالقدر- توحيده أي لله جل وعلا . فلا يكون العبد مؤمنًا بالله موحداً إلا إذا كان مؤمنًا بأقدار الله سبحانه وتعالى وأن الأمور كلها بقدر ، وأن هذا الملك ملك الله، لا يمكن أن يكون فيه شيء أو أن يقع فيه شيء إلا بأذنه جل وعلا وبعلمه.

ثم إن الإيمان بالقدر لا يصح إلا بالإيمان بمراتبه الأربعة التي جاءت مبينه في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وهي :

أولاً: الإيمان بعلم الله سبحانه وتعالى بما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون ، وأنه جل وعلا أحاط بكل شيء علما وأحصى كل شيء عددا.

والمرتبة الثانية: الإيمان بأن الله كتب مقادير الخلائق في اللوح المحفوظ قبل خلقه السموات والأرض بخمسين ألف سنة كما جاء في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة)) .

والمرتبة الثالثة : الإيمان بالمشيئة النافذة والقدرة الشاملة، وأن ما شاء الله كان، وما لم يشاء لم يكن ، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ .

والمرتبة الرابعة : الإيمان بخلق الله عز وجل للأشياء ، وأنه تبارك وتعالى خالق كل شيء، وأنه جل وعلا رب العالمين هو خالقهم ومالكهم والمتصرف فيهم لا شريك له في شيء من ذلك .

فهذه مراتب القدر ، ولا يكون مؤمنًا بالقدر من لا يؤمن بهذه المراتب. ولهذا الإيمان بالقدر حقيقته : الإيمان بعلم الله المحيط، وكتابته سبحانه وتعالى لمقادير الخلائق ، وأن الأمور بمشيئته سبحانه ، ما شاء كان وما لم يشاء لم يكن، وأنه عز وجل الخالق لكل شيء ، فمن لا يؤمن بهذه الأمور لا يكون مؤمنًا بالله تبارك وتعالى ، ومن لا يكون مؤمنًا بالله لا يقبل الله سبحانه وتعالى منه عمل ، ولهذا قال جل وعلا ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة:٥] ،ولهذا جاء في الحديث أن الوليد بن عُبادة بن الصامت لما حضرت والده الوفاة رضي الله عنه أتى إليه وطلب منه أن يوصيه بوصيه وكان نائما على فراشه ، فقال أجلسوني، طلب منه ابنه أن يوصيه بوصيه فقال أجلسوني فأجلسوه، فكان مما أوصاه أن قال: «واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطئك لم يصيبك، ثم قال له : اعلم انك إن مت على ذلك مت على غير الإسلام أو على غير الملة» ،الذي لا يؤمن بالقدر يموت إن مات على ذلك يموت على غير مله الإسلام، لأن الإسلام جاء بالإيمان بقدر الله سبحانه وتعالى.

الشاهد أن من جاهلية هؤلاء جحد القدر وعدم الإيمان به ، إنكار القدر وعدم الإيمان به هذا من الجاهلية التي عند هؤلاء، ولا يعني ذلك أن جميعهم لم يكونوا مؤمنين بالقدر ، بل بعضهم كانوا مؤمنين بالقدر مقرًا به ، ويأتي في أشعارهم مثل قول أحدهم لمحبوبته:

يا عبل أين من المنية مهرب إن كان ربي في السماء قضاها

هذا شاعر جاهلي ؛ فيوجد فيهم من يؤمن بأن الأمور بقدر الله سبحانه وتعالى ، ويوجد فيهم من يجحد ومن يقول ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية:٢٤] ، ونحو ذلك.

قال رحمه الله تعالى :

الرابعة والأربعون: الاحتجاج على الله به .

****

«**الرابعة والأربعون: الاحتجاج على الله به**» أي بالقدر ، وهذه نوع من المغالطة التي يمارسها أهل الجاهلية؛ يحتجون على باطلهم بالقدر ، اذا قيل لهم : لماذا تشركون؟ ولماذا ترتكبون الفحشاء؟ يقولون ﴿لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾ [الزخرف:٢٠]، ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن

شَيْءٍ ﴾[النحل:٣٥] ، فيحتجون على باطلهم بالقدر وأن الله سبحانه وتعالى لو شاء ما فعلنا ذلك، فيحتجون على باطلهم بالقدر، وهذا جاهلية ومن طريقة أهل الجاهلية. عندما يقال لشخص مثلاً لماذا لم تصلي ؟ فيقول ما قدَّر الله لي الصلاة ، هذه طريقة أهل الجاهلية، أو ما كتب الله لي الصلاة ؛ يحتج على باطله وعلى مخالفته بالقدر! فهذا نوع من الجاهلية ، لأن الله سبحانه وتعالى قدَّر مقادير الخلائق وجعل للعبد مشيئة؛ يختار طريق الخير إن شاء، ويختار طريق الشر إن شاء ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾[البلد:١٠] ، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام : ((اعملوا فكلٌ ميسر لما خلق له)) يقال اعمل لمن عنده مشيئة ، ولهذا قال سبحانه ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ(٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[التكوير:٢٨-٢٩] ، فالإنسان عنده مشيئة يختار بها طريق الخير ويختار بها طريق الشر ، فكون الإنسان يحتج على باطلة أو على مخالفته أو على تركة لطاعة الله سبحانه وتعالى بالقدر هذا من الجاهلية ، بينما الواجب على العبد في هذا المقام أن يجاهد نفسه على فعل الصالحات والقيام بالطاعات، ويطلب من الله العون والثبات والسداد ، أما أن يجلس معطِّلاً نفسه عن الخير مبتعدًا عن مسالك الخير ثم يقول الله ما كتب لي ذلك!!، هل جاهدت نفسك على الخير وهل رجوت الله وسألته وطلبت منه وألححت عليه ورجوته فحرمك؟، أم أنك حرمت نفسك بإعراضك وصدودك وتركك لطاعة ربك تبارك وتعالى؟

الشاهد أن هذه جاهلية كان عليها المشركون ، ووجد في الأُمه من صار عنده وجه شبهٍ للمشركين بذلك، يحتج على تركه للطاعات أو على فعله للمنكرات بالقدر .

قال رحمه الله تعالى :

الخامسة والأربعون: معارضة شرع الله بقدره .

****

«**معارضة شرع الله بقدره**» وهذه أيضاً جاهلية؛ يعارضون الشرع بالقدر ، وليس هناك معارضة إلا في رؤوس هؤلاء وأفهام هؤلاء ، وإلا الأمر منتظم ولا تعارض . فهؤلاء يعارضون شرع الله بقدره فيقولون: كيف يُقدِّر سبحانه وتعالى ما لا يرضاه شرعاً؟ يقدِّر الكفر مثلاً كوناً وقدراً والشرك وقد قال سبحانه وتعالى ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾[الزمر:٧] أي لا يرضاه شرعاً وديناً !! وهذا ليس فيه تعارض إلا في أفهام هؤلاء وعقول هؤلاء .

ولهذا سلكُوا هذا المسلك الباطل الآثم بأن عارضوا شرع الله سبحانه وتعالى بقدره وليس بينهما تعارض ، لأن الله سبحانه وتعالى قدَّر الخير وقدَّر الشر ، وابتلى عباده سبحانه وتعالى وامتحنهم واختبرهم ليميز الخبيث من الطيب، المؤمن من الكافر، الصادق من الكاذب، ابتلاهم سبحانه الله سبحانه وتعالى بذلك حتى يتحقق الامتحان

ويتحقق صدق الصادق وكذب الكاذب ، ومَن المقبِل على الله سبحانه وتعالى حقاً من غيره ؛ ولهذا كانت هذه الدنيا دار امتحان وابتلاء ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء:٣٥] ؛ فيحتاج من العبد أن يُقبِل على شرع الله سبحانه وتعالى ودينه ، وأن يحقق العبودية لله تبارك وتعالى ، وأن يسأل الله جلّ وعلا دومًا وأبداً أن يثبته على الحق والهدى وأن يعيذه من الباطل والردى .

قال رحمه الله تعالى :

السادسة والأربعون: مسبة الدهر ، كقولهم: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية:٢٤] .

****

قال رحمه الله تعالى : «**السادسة والأربعون :مسبة الدهر،كقولهم ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾**»، الدهر: هو تقلب الليل والنهار، وتقلب الليل والنهار ليس لليل والنهار فيه اختيار ، فهو مقلَّبٌ بتقليب الله سبحانه وتعالى، فسب المقلَّب بلا اختيار منه سبٌّ لِمُقلِّبه ، ولهذا جاء في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((قال الله تعالى : يؤذيني بن آدم يسب الدهر ، وأنا الدهر؛ أُقلِّب الليل والنهار)) ، قوله «وأنا الدهر» ليس معناه أن الدهر اسم من أسماء الله وصفه من صفاته ، بل معناه واضح ؛ قال : ((وأنا الدهر)) ثم وضح المعنى قال ((أقلب الليل والنهار))، أي تقلُّب الليل والنهار –وهو الدهر– هو بتقليب الله . فسبُ المقلَّب سبٌ لمقلبه تبارك وتعالى، فالذي يسب الدهر يؤذي الله كما جاء في الحديث بهذه المسبة للدهر ((يؤذيني بن آدم يسب الدهر وأنا الدهر اقلِّب الليل والنهار)) .

هذه جاهلية سب الدهر ، مثل قول الإنسان : "قاتل الله مثلاً هذا اليوم" أو نحو ذلك من الكلمات التي يسب فيها اليوم أو الساعة أو يلعن الساعة، أو هذه الحزة، أو هذا الوقت أو نحو ذلك ، فهذا كله من أفعال أهل الجاهلية التي جاء الإسلام بأبطاله والتحذير منه . وكان الواحد من أهل الجاهلية إذا أصيب بضائقة أو شدة أو مرض أو نزلت به نازلة أو أصيب بحادث أو نحو ذلك سب اليوم أو سب الساعة التي حصل فيها ذلك الشيء أو لعنها أو نحو ذلك ؛ هذا كله جاهلية ، لأن الساعة واليوم والدقيقة والليل والنهار والشهور لا تملك لنفسها شيء ، هي مقلبة بتلقيب الله ، فسبها سب لمقلبها ومسخرها ، سب المسخَّر سب للمسخِر جلّ وعلا . فمن جاهلية هؤلاء الجهلاء سبُ الدهر.

نكتفي بهذا والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم على عبدالله ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .